

قال لـ التنترق الأوسط علم الآثار لا يعرف التخمينات.. و80% من الاكتشافات جاءت بطريق الصدفة

زاهي حواس: مصر تعوم فوق بحر من الكنوز الأثرية



انتشال بوابة معبد ايزيس من مياه الاسكندرية (إ.ب.أ)

● أكره الموميאות ولكن الله وضعها في طريقي فاكتشفت العشرات منها ● كنت أحلم بدراسة القانون وأن أكون محاميا مشهورا مثل كمال الشناوي في أفلامه حيث تحيط به الحسنات ● نحن على بعد خطوات من كشف مقبرتي كليوباترا وزوجة توت عنخ آمون

لندن، محمد الشافعي

نجاحه.

المتاحف». وعندما كان الدكتور زاهي حواس الأمين العام لهيئة الآثار المصرية يتحدث عن فراغته مصر أمام عدد من الصحفيين الغربيين والمسؤولين الأجانب في المتحف البريطاني في حفل توقيع كتابيه «الرحلة السرية» و«في المتحف المصري.. مع حواس» الأسبوع الماضي، كنت أرى الاقتتان والعشق ينطبع على وجهه وهو يتكلم عن أحسن الأول محرر مصر من الهكسوس، ورمسيس الثاني ثالث فراغته الأسرة 19، ومشيد التحفة الرائعة معبدي أبو سمبل المنحوت في الصخر وصاحب

البعض يراه مغامرا يرتدى الجينز مع قبعة البطل الأميركي إنديانا جونز، ويلقبه بحارس الفراغته، ويتفق على اختياره أكثر من مرة ضمن أهم 100 شخصية في العالم، ويراه وجهها وطنيا، وآخرون يختلفون معه، ويقولون إنه «يعشق الأضواء أكثر»، لكنك في النهاية لا تملك عند الجلوس أمامه غير الإعجاب بتفكيره العملي واكتشافاته التي لا تتوقف، وكأنه على موعد مع الحظ، وهو حواس؛ غالبا حواس: السبب الرئيسي وراء

مسلة ميدان الكونكوردي في باريس، وللصدفة جاء تقديمه من قبل مدير المتحف البريطاني تحت تمثال ضخم للفرعون رمسيس الثاني بوسط قاعة الآثار المصرية، وتحدث بإيجاز عن امنحنب الثاني وامنحنب الثالث اللذين شهد عصرهما أعظم نهضة فنية مصرية، ومن بعدهما حور محب القائد الشجاع الذي اعتلى عرش مصر في وقت محنة وزمن عصيب بعد أن انهارت دولة إخناتون وتعاليمه. والحارس على بوابات تاريخ مصر هو القوة المحركة خلف خطط إقامة 19 متحفا جديدا،



على الرغم من أنه يؤكد أن المتحف المصري الكبير الذي سيفتح بعد عدة أعوام هو أحد أحلام وزير الثقافة المصري فاروق حسني، وكان محور حديث الدكتور حواس مع «الشرق الأوسط» حول حجر رشيد مفتاح الحضارة المصرية القديمة ويدور حول مومياء الملك الشاب توت عنخ آمون الذي لقي حتفه في التاسعة عشرة من العمر، التي يبلغ عمرها 3300 عام. بعض الصحافيين الغربيين اطلقوا على زاهي حواس لقب «إنديانا جونز» وهو عالم الآثار في سلسلة أفلام الممثل الأميركي هاريسون فوردي الباحث تاريخ الأقدمين. وقال حواس إنه يعترض أن يطلب من المتحف البريطاني تسليم حجر رشيد لبلاد. وكان ذلك الحجر الأثري عاملاً رئيسياً في فك رموز اللغة الهيروغليفية المنقوشة على مقابر الفرعنة وهو واحد من ستة آثار قديمة قال عالم الآثار المصري حواس إن بلاده تريد استعادتها من متاحف في أنحاء العالم.

وأوضح حواس لـ«الشرق الأوسط» قبل أن يغادر العاصمة البريطانية: «لم أكتب بعد للمتحف البريطاني لكنني سأفعل ذلك سأبلغهم أننا نحتاج أن يعود حجر رشيد إلى مصر للأبد. المتحف البريطاني به مئات الآلاف من القطع الأثرية في الطابق السفلي وفي المعارض. لا أريد سوى عودة قطعة واحدة.. حجر رشيد. إنها رمز هويتنا المصرية ويجب أن يكون موطنها مصر» وأكد حواس أن لديه سجلاً كاملاً لآثار المصرية المسروقة قائلا: «لدينا دليل، ولدينا مياشر، يثبت ما سُرق بالتحديد، فكل تاريخنا ومكانتنا تسرق منا، ومن المهم بالنسبة للمصريين أن تعود هذه الآثار إلى بلدنا».

ورأى عالم الآثار أن بريطانيا لا تقدر حقاً قيمة حجر رشيد، واتهم المسؤولين فيها بالإبقاء على الحجر في غرفة مظلمة سيئة حتى طلب استعادته، «فأصبح فجأة حجر رشيد مهما بالنسبة لهم». واكتشف جيش نابليون حجر رشيد الذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام ونصف القدم عام 1799، وهو يعود إلى عام 196 قبل الميلاد. وحازته بريطانيا بعد هزيمة نابليون بموجب معاهدة الإسكندرية عام

1801. وسبق أن أعلن حواس أنه يريد إعادة الحجر لمصر ويريد الآن تحقيق ذلك عبر القنوات الرسمية. ويريد كذلك استعادة رأس نفرتي من متحف برلين الجديد وتمثال المهندس هيميونو، الذي بنى الهرم الأكبر، المعروض في متحف رومير. بليرايوس في هيلداشيم في ألمانيا، ولوحة من معبد ندرة معروضة في متحف اللوفر في باريس، والتمثال النصفي للمهندس الذي بنى هرم خفرع من متحف الفنون الجميلة في بوسطن بالولايات المتحدة، وتمثال رمسيس الثاني من متحف «إيجبتسو»، المتحف المصري، بتورينو في إيطاليا. ويوجد حجر رشيد الذي عليه نقوش هيروغليفية وديموطيقية ويونانية في المتحف البريطاني منذ عام 1802 ويشكل عنصر الجذب الرئيسي في مجموعة القطع المصرية في المتحف وي جذب ملايين الزوار كل عام. وكان حواس قد طالب باستعادة الحجر خلال افتتاح المتحف الجديد في الجزيرة عام 2012 لكنه قال إنه لم يعد يقبل سوى استعادته. وأكد حواس أن مصر تعود على بحر من الكنوز الأثرية، مشيراً إلى أن 70 في المائة من آثار مصر لم تكتشف بعد وما زالت في باطن الأرض، مشيراً إلى أن «80 من الآثار الفرعونية تم اكتشافها بطريق الصدفة».

وقال: «على الرغم من وفرة الآثار المصرية في المقابر والمتاحف العالمية المصرية، فإن أرض مصر ما زالت تعج بالمئات من المواقع البكر التي لم تكتشف بعد من فرعونية وإسلامية وقبطية ورومانية ويونانية». وقال إن الآثار المصرية ليست ملكاً فقط لمصر بل لكل العالم باعتبارها تراثاً حضارياً نادراً وغنياً. وأوضح أنه سيركز خلال الأسابيع القادمة على محاولة كشف مقبرة عنخ اس آمون زوجة الفرعون «أي» وهي المقبرة رقم 64 في وادي الملوك، وقال إنها كانت زوجة الفرعون توت عنخ آمون ثم تزوجت بعد وفاة الفرعون الشاب من الفرعون «أي». كذلك أوضح أن هناك نتائج اكتشافات ستعلن قريباً تخص الفرعون رمسيس الثاني عبر استخدام تقنية البصمة الوراثية. وأشار إلى أن الأعمال الأثرية لا تتوقف من أجل كشف أسرار هرم خوفو، بالكشف عما وراء

الأبواب السرية. وهناك جهود تبذل في الوقت ذاته لكشف مقبرتي الملكة كلوباترا والقائد الروماني مارك أنطونيو بالتعاون مع بعثة آثار دومينيكانية، في منطقة تبعد عن الإسكندرية 50 كيلومتراً. وتحدث عن مؤتمر صحافي سيعقده بعد أسبوعين لإعلان الكشف عن عائلة توت عنخ آمون. وارتبط اسم حواس باكتشاف مومياءات الواحات البحرية، وتشكل هذه المومياءات جزءاً من بين 400. 500 مومياء تم تحنيد موقعها في ذلك الجزء من مصر الذي يعرف باسم وادي المومياءات الذهبية، الذي يعتقد أنه يضم في ثنياه الآلاف من المومياءات.

وأضاف أن هذه هي المرة الأولى التي يعثر فيها المنقبون المصريون فيها على مومياءات تجسد تعبيرات الوجوه. وقال إن تاريخ المومياءات المكتشفة يرجع إلى 1800 عام خلت، وبالتحديد الحقبة الإغريقية الرومانية. ويعتقد أن مدينة الموتى المكتشفة في الواحات البحرية تضم عشرة آلاف مومياء، اكتشف منها 300 حتى الآن.

وتغطي مقبرة الواحات البحرية مساحة قدرها مليون مربعين، ويعود تاريخها إلى 330 و400 سنة قبل الميلاد. وقد دفنت تلك المومياءات عندما كان يسكن في المدينة نحو 500 ألف نسمة، في حين بلغ تعداد سكان مصر في تلك الفترة سبعة ملايين شخص. وقال حواس إنه لم يجب الدولة الحديثة من التاريخ المصري القديم على الرغم من أنها أعظم فترة عرفتها أساليب العمارة والصور الجدارية التي تظهر على حوائط المعابد كالكرنك والأقصر وأبو سمبل، ومن أبرز عهود تلك الدولة عهد تحتمس الأول الذي تعتبر فترة حكمه نقطة تحول في بناء الهرم ليكون مقبرة في باطن الجبل في البر الغربي بالأقصر تتسم بالغنى والجمال في أثائها الجنازري ويظهر ذلك في مقبرة آتاك توت عنخ آمون، ولكنه يشعر بانسجام أكبر مع «الدولة القديمة» التي عمل حارساً على بوابتها كمدير لأهرام الجزيرة لأكثر من عشرين عاماً قبل أن ينتقل إلى منصبه الحالي كمسؤول أول عن آثار مصر. وتعد أهرامات الجزيرة الثلاثة التي أقيمت في عهد الأسرة الرابعة أشهر الأهرامات وأهمها

في مصر الفرعونية، كذلك تمثال أبو الهول الذي تتجلى فيه قدرة الفنان المصري على الإبداع. وتبلغ الأهرامات التي بنيت لتكون مثوى للفرعنة 97 هراً. وتحدث حواس عن المومياءات واكتشافاته الأثرية منذ عمله لفترة تزيد على عشرين عاماً مديراً لمنطقة أهرامات الجيزة قبل توليه رئاسة هيئة الآثار المصرية، وإنجازاته خلال تلك الفترة بالعديد من القرارات التي كان لها البعثة الأثرية في حماية الآثار المصرية من الأندثار.

وتحدث حواس عن حياته في أسرة من أبناء الطبقة المتوسطة في قرية العبيدية بدمياط قبل أن يلتحق بقسم الآثار بكلية الآداب عقب دراسته للقانون لمدة أسبوع وتحوله لدراسة الآثار التي كرهها بعد حصوله على درجة الليسانس من جامعة الإسكندرية عام 1976 وفشله في امتحان السلك الدبلوماسي قبل التحاقه بالدراسات العليا بجامعة القاهرة وحصوله على درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا عام 1987. ويقول: «ما زلت أذكر الممتحن في الخارجية، وكان ضابطاً سابقاً التحق بالسلك الدبلوماسي، وهو يسألني عن علاقة الآثار بالعمل في الخارجية، ورددت عليه بعقوبة عن علاقة الجيش بالسلك الدبلوماسي، ورسبت في الامتحان الشفوي». ويضيف: «كنت أحلم أن أكون محامياً مشهوراً مثل كمال الشناوي في أغلب أوقاله وهو يدافع عن المخلولين وتحيط به الحسنات في كل مكان».

«لعنة الفرعنة»

وتطرق العالم الأثري إلى «لعنة الفرعنة» التي ولدت مع اكتشاف مقبرة «توت عنخ آمون» التي اكتشفها العالم البريطاني هيوارد كارتر في وادي الملوك في شهر نوفمبر عام 1922، وشد حواس الانتباه من واقع خبرته الطويلة عند فتح المقابر القديمة قبل اكتشاف المومياءات التي ارتبطت باسمه في صحراء مصر. وقال إنه عندما ذهب إلى الأقصر للكشف عن مومياء توت عنخ آمون في الطريق تلقى اتصالاً على الجوال من شقيقته تبلغه بموت زوجها، وفي



زاهي حواس

سنة في حالها. وقال إن الأشعة المقطعية التي أجريت على مومياء توت عنخ آمون كانت تحت إشراف فريق مصري خالص متخصص. وقال إنه بعد تعريض مومياء الملك الشاب للأشعة المقطعية تلقى الآلاف من الرسائل من طلبة صغار سن ومواطنين ومتخصصين ومليونيرات يسألون عن توت عنخ آمون.

وأعرب عن اعتقاده بأن توت عنخ آمون ربما أصيب بكسر في ساقه قبل وفاته بوقت قليل. وأعلى توت عنخ آمون عرش مصر أثناء فترة مضطربة من تاريخ البلاد بدأت بعد فترة قصيرة من وفاة إخناتون الذي آمن بوجود إله واحد عام 1362 قبل الميلاد الذي من المحتمل أن يكون والد توت عنخ آمون.

منصبه إدارتين جديدتين؛ الأولى للبعثات الأجنبية تتولى متابعة أعمال البعثات في مجالات الحفائر والتسجيل والترميم والنشر، أما الثانية فتكون مختصة باستعادة الآثار المسروقة وستبدأ عملها بجرد المتاحف لتحديد المسروقة من كل متحف.

وأوضح أن في علم الآثار لا يوجد مكان للتكهنات أو التخمينات مطلقاً فعملت عامة الآثار البريطانية جوان فلنشر عام 2003 عندما أشارت إلى احتمال عثورها على مومياء للملكة نفرتيتي أشهر ملكات مصر التي عاشت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، مخبأة داخل المقبرة رقم 35 بوادي الملوك، والملكة نفرتيتي، وتعني باللغة المصرية القديمة «الجميلة التي جاءت»، هي زوجة الملك إخناتون، الذي حكم مصر في الفترة من 1353. 1363 قبل الميلاد خلال فترة تاريخية يطلق عليها «فترة العمارة». يذكر أن دراسات في السبعينات أشارت إلى أن نفرتيتي استمرت في حكم مصر بعد وفاة زوجها إخناتون.

توت عنخ آمون

وأشار الدكتور حواس إلى أن الفرعون المصري القديم توت عنخ آمون لم يقتل، وأن المضاعفات التي أصيب بها نتيجة كسر في ساقه، إنما كانت السبب في وفاته المفاجئة وهو في التاسعة عشرة من العمر. وأعرب الباحثون عن أملهم في أن يؤدي هذا الاكتشاف الجديد إلى أن تترك مومياء الفرعون التي يبلغ عمرها 3300

داخل المقبرة انقطع السلك الكهربائي وأصابه ماس كهربائي وأغمي عليه لعدة ثوان، وكاد أن يصدق بلعنة الفراعنة، وهبت ريح عاتية أرعبت بعثة صحافية يابانية كانت تنتظره عند مدخل المقبرة.

وقال إنه ينصح «الأثريين الشباب قبل النزول إلى المقابر المكتشفة بعدم حلق لحاهم حتى لا تتسرب الجراثيم والميكروبات المخزنة منذ آلاف السنين إلى مسام الجلد». وقال حواس إنه: «يكره المومياءات، ولكن الله وضعها في طريقه، وكشف منها العشرات». ويضيف أنه يتمتع أيضا بحب المهنة والإخلاص لها.

وكانت «لعنة الفراعنة» ظهرت على شكل موت غريب لكل من دخل مقبرة «توت عنخ آمون»، أو لمس التابوت أو سرق محتويات المقبرة. أما اللعنة فكانت موتاً مفاجئاً. ويسبق الموت نوع من الحمى والهلوسة والعرق ثم الموت.

وقد شجع على انتشار هذه الخرافة أو الحقيقة أن بعض المقابر ظهرت على مداخلها عبارات تحذر من تجرأ على سلام وجمال الموت الملكي. كان يقال: «يا داخل هذا المكان الموت لك...» أو: «لا تتجاوز هذه العتبة وإلا كان موتك محققاً». وأجاب حواس رداً على سؤال من أحد الصحفيين بقوله إن «اللعنة خرافة صنعها الإعلام».

وأضاف أنه وضع على عاتقه منذ تولي منصبه أميناً عاماً لهيئة الآثار المصرية قبل ثلاثة أعوام حماية الآثار المصرية سواء الفرعونية أو الإسلامية أو القبطية والمدن مزيج من المتاحف بجميع المدن المصرية.

وأفاد أنه يضع ضمن خطته أيضاً عودة الآثار المصرية الموجودة في الخارج مثل حجر رشيد المحفوظ في المتحف البريطاني بوسط لندن، ورأس تمثال نفرتيتي المحفوظ في متحف برلين، حتى على سبيل الإعارة حتى يراها أبناء الشعب المصري. وأوضح أنه في عهده تم وضع خطة 13 متحفاً جديداً في سفارة ومتحف «التماسيح» في كوم امبو والغردقة ومتحف «الحضارة» في الإسكندرية و«المتحف الكبير»، وضمن تلك المتاحف ستكون هناك قاعات سينما لعرض أفلام عن حياة الملوك العظماء الذين حكموا مصر. وقال إنه أنشأ منذ توليه

حواس في سطور

الجميلة ببوسطن.

ويقول حواس: «أعتقد أنه كان من حسن حظي أن أقدم لسنوات في استراحة جميلة أمام هرم الملك خوفو مباشرة، حيث كنت أستيقظ من النوم مع شروق الشمس لأشاهد هذا المبنى العظيم وأراه أيضا مع الغروب، فكنت أرى هذا الهرم في شكل جديد كل يوم، وكنت في بعض الأحيان أجلس أمام الاستراحة لأتأمل هذا المبنى المعماري، ولذلك بدأ الحفر منذ عام 1997 وحتى الآن بجوار هرم الملك خوفو، وكانت لهذه الاكتشافات التي قمنا بها أهمية خاصة لأنها عبارة عن أدلة جديدة تكشف لأول مرة عن بناء الهرم، ومن أهم هذه الاكتشافات كان الهرم العائدي الذي عثرنا عليه بجوار الهرم، وكذلك الورشة، والطريق الصاعد، وبقايا معبد الوادي، بالإضافة إلى القرية التي عاش فيها العمال والفنانون، ومقابر العمال بناء الأهرام، ومنطقة الإدارة التي كانت مخصصة لصناعة الخبز والعجوة والمعادن وتجفيف الأسماك.

من الولايات المتحدة الأميركية وحصوله على درجة الماجستير عام 1987. وقد رافق البعثات الأجنبية في مواقع عديدة في أرض مصر، وقام بالعديد من أعمال الحفائر في «تونا الجبل» و«كوم أبوولو» ومرمدة بني سلامة ونزلة السمان وأبورواش أمام معبد «أبو الهول» وأشرف على أعمال الحفائر في منطقة كفر الجبل والجبانة الغربية لهرم «خوفو» وحفائر بني يوسف ونزلة البطران والحفائر المجاورة للملكة «لايبون» بسقارة والحفائر التي أمام معبد الوادي لهرم خفرع وحفائر هرم الملك منكاورع بالجيزة.

ويشغل عضوية كثير من اللجان العلمية مثل عضويته باللجنة الدائمة للآثار المصرية، واللجنة العليا لتطوير هضبة الأهرام، والمجالس القومية المتخصصة، واللجنة العليا لترميم «أبو الهول»، ومجلس الصوت والضوء، ولجنتي التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، ومعهد الآثار الألماني، ومجلس إدارة المجلس الأعلى للآثار، ومتحف الفنون

● يذكر أن الدكتور زاهي حواس قد ولد في قرية العبيدية، مركز فارسكور بمحافظة دمياط في الثامن والعشرين من شهر مايو (أيار) 1947. و تخرج في قسم الآثار اليونانية والرومانية في جامعة الإسكندرية 1967، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا في الآثار المصرية القديمة عام 1980، وحصل على منحة الفولبرايت عام 1980. ثم حصل على درجة الماجستير في آثار مصر القديمة وآثار سورية وفلسطين من جامعة بنسلفانيا الأميركية عام 1983. ومنحة التفوق عام 1986 م. ثم حصل على دكتوراه الفلسفة من الجامعة نفسها عام 1987 عن عصر الأهرام. ويعتبر الآن أعظم متخصص في هذا العصر في العالم كله.

وقد بدأ حياته العملية عام 1968 مفتشا لآثار «تونا الجبل» ثم إدفو وغرب الإسكندرية وأبو سمبل وإمبابة وأهرام الجيزة والواحات البحرية، حتى صار كبيرا لمفتشي آثار الجيزة بعد عودته

وكتاب عن حمزة شحاتة.

أندية وتكريم

وأدى الراحل مشخص دورا في خدمة الأندية الرياضية السعودية إبان إقامته في مصر، حيث أحضر محمود أبو رجيلة مدربا للحرس الوطني، ثم لنادي الشباب، ثم للوحدة، واستقدم ميمي عبد الحميد وعبد صالح الوحش واللاعب قرن شطة من أهلي القاهرة لأهلي جدة متراملا مع التونسي طارق ذياب في نهاية السبعينيات الميلادية.

ومن القواد في حياة مشخص أنه منتسب للعضوية الشرفية للمصريين المتضادين الأهلي والزمالك.

وكرم الراحل في الثنينية عبد المقصود خوجة ومن نادي الاتحاد، وكرم في الدورة الرياضية الإسلامية التي أقيمت في المملكة كما حصل على وسام الرئيس السادات.

للراحل ست بنات: هند، بهيجة، نوال، أميرة، راوية، وعبير، وخمسة أبناء هم: غازي، محمد، أمين، عبد العزيز، وطارق.

يشار إلى أن الأسرة تتلقى العزاء على هاتف ٠٥٠٥٣٥٥٩٨١ أو

فاكس ٢٨٢٦٢٤٠.

كفاح صيدلي

صاحب أول صيدلية في السعودية يروي
قصة نجاحه في الزمن الصعب

الدوسري: تنقلت بين الدمام وبيروت وطرابلس وشهدت نكبة فلسطين



دكتور عبدالرحمن أثناء توليه العمل في عيادة ميناء الملك عبدالعزيز



الدكتور عبدالرحمن أقضى اليمين مع زملائه في المستشفى

الدمام: هند الصالح

قبيل نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ بسنوات، توجه شاب سعودي في الثلاثينيات من العمر، برفقة ٨ من زملائه إلى العاصمة اللبنانية بيروت. والهدف كان إكمال الدراسة في الجامعة الأمريكية، ليعود بعدها، إلى مدينته الدمام، على الساحل الشرقي، حاملاً شهادة في الطب، ومتوجاً بتجربة علمية واجتماعية ثرية.

عبدالرحمن المهنا الدوسري، صاحب أول صيدلية في

من القرن الماضي، تغير اسمها لاحقاً إلى "مخزن صيدلية الدمام"، أمام مركز إمارة الدمام الحالية. فبعد مغادرته للدراسة في لبنان، تولى مهام الصيدلية ابنه محمد، الذي كان عمره حينها ١٦ عاماً، وساعده في إدارتها أخوه "راشد". ويقول الدوسري غادرت المملكة بجواز سفر والدي، حيث كان سابقاً مسموحاً بذلك، ودرست الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت، بعدما بعثني أرامكو برفقة ٨ من زملائي. والإقامة في لبنان، لم تقتصر على العاصمة

السعودية، بدأ حياته بالزواج مبكراً، في سن ١٩ عاماً، حال أقرانه في ذلك الزمان. ليلتحق بعد ذلك بشركة "أرامكو"، والتي كان اسمها حينها "شركة الزيت العربية الأمريكية"، حيث كانت تمثل مصدر جذب للشباب المنطقة الطموحين، بما لديها من تطور تقني وعلمي، وصبغة اجتماعية حديثة، جعلت الكثيرين يرون فيها بيئة عمل مناسبة، تحقق لهم أحلامهم. في بدايات مشواره العملي، افتتح عبد الرحمن "صيدلية الدمام"، مطلع الأربعينيات



نسمع عن الحرب في فلسطين عام ١٩٤٨، والتي كانت تدور بالقرب منا، حتى وصل إلينا شررها، وتعرض المستشفى الذي كنت أتدرب فيه للقصف، ولطلقات النيران".

بعد ٧ سنوات من الدراسة المتواصلة في الجامعة، والحصول على البكالوريوس، عاد الدكتور عبدالرحمن إلى السعودية، متنقلاً بين عدة مسؤوليات. ويقول "عملت مشرفاً على العيادة الصحية بميناء الملك عبدالعزيز بالدمام، كما أدت برامج توعوية بتلفزيون "أرامكو"، ومنها برنامج "السلامة تبدأ بك"، كل ذلك يضاف لإدارتي لصيدليتي الخاصة بالدمام، والتي كنت أدفع ١٥ ألف ريال، إيجاراً سنوياً لمقرها".

وعن إقبال الناس على استخدام العقاقير الطبية، والأدوية الكيماوية في ذلك الزمان حيث "العطارة"، والوصفات الشعبية هي الأكثر انتشاراً قال: كان الناس يستخدمون الطرق الشعبية للعلاج، ولم يعتادوا على تناول الأدوية الطبية إلا بعد تجربتها، أو عند الضرورة الملحة. وعلى سبيل المثال، انتشر حينها وباء "الطاعون" الذي كانت لقاحاته تحضر من لبنان، وكذلك مرض "الجدري" والذي كانت تعطى لقاحاته بشكل مجاني. وفي سبيل إزالة تردد وخوف الناس، كنا نقوم بحملات توعية وإرشاد كانت إحداها لتبنيهم بأساليب الوقاية من مرض "الملاريا"، وضرورة عدم الاقتراب من مناطق المستنقعات تجنباً للبعوض الناقل للمرض، لنقوم بتطعيمهم بعد ذلك عند توفر اللقاحات. فمحاذاة الدمام للبحرين، وتمتع المدينة بميناء بحري، وحركة السفن على شواطئها، سهل عملية وصول الأدوية، والمعدات

الطبية، من دول مختلفا في عملية تستغرق أسابيع وشهوراً. وكنا نحصل على ما نحتاجه من دواء عن طريق العبارات البحرية من الهند، أو من خلال "كتالوجات" تأتي من لبنان لمجموعة من الأدوية، تكون عادة مكتوبة باللغة اللاتينية، التي تترجم إلى الإنجليزية، حيث يختار منها المطلوب، ومن ثم تشحن من لبنان إلى البحرين، وكنت أسافر تالياً إلى المنامة لإحضارها من هناك. فهي كانت رحلة تحتاج إلى عناية ومتابعة، نظراً لحساسية المواد، وقابليتها للتلف وكانت أغلب العبوات التي تصل، عبارة عن "كبسولات" للكبار، و"بودر" يخلط مع الماء للأطفال. فيما كان دواء الصداع "البندول"، متوفراً كشراب، وإبر الحقن مصنوعة من الزجاج، ليتم تعقيمها في الماء المغلي، بعد استخدامها.

ويؤكد الدوسري أن ضيق يد الناس في أربعينيات، ومنتصف القرن المنصرم، دفعته للتغاضي عن كثير من زبائنه، الذين لا يدفعون مقابل ما يشترونه من صيدليته، ولا يطالبهم بالمال لاحقاً. تقول نادية: ابنة عبدالرحمن الدوسري، عندما نقل والدي مؤخراً للعلاج في الرياض، جاء العديد من الأشخاص لزيارته والاطمئنان عليه، دون أن تكون بيننا وبينهم صلة، سوى أنهم يكونون له محبة واحتراماً، لقاء معاملته الحسنة معهم، ومع أقرباء لهم".

ولم تنحصر فائدة دراسة عبدالرحمن للطب في بيروت، عليه وحده، بل استفاد منها قاصدوه، الذين كانوا يأتون إليه سواء في الصيدلية أو البيت. حيث كان المرضى يقومون بزيارته في منزله، لتلقي العلاج دون مقابل. وفي أحيان كثيرة كان يقوم

بدور الطبيب البديل، لعدم توفر الأطباء المختصين، فعالج حالات آلام الأسنان، هو وزوجته، التي تقدمت باختبار لدى الجهات الصحية، لمنحها شهادة مزاولة عمل. وذات مرة، عالج "امرأة حامل" تعرضت لنزيف حاد، لتسمي ابنها بـ "عبدالرحمن"، تيمناً به، ووفاء له، على عنايته بها. أربعون عاماً قضاها صاحب أول صيدلية في المملكة، مزاوياً لمهنته المحببة إلى قلبه، قبل أن يتقاعد منذ عشرين عاماً خلت، ويضطر لبيع صيدليته، بثمن بخس، لم يتجاوز ٢٥٠ ألف ريال، ليوصد الباب على ذكريات وقصص في حانوته القديم، يعاوده الحنين إليها بين الفينة والأخرى، وهو يشاهد حفيدته تسير على خطاه في دراسة الصيدلة، عليها تُرجع إليه شيئاً من ماضٍ يحن إليه، بين أزقة الدمام، والظهران، وبيروت، وطرابلس.

